خاتمة الدراسة

فى إطار هذه الدراسة التى استثمرت أدوات ووسائل فى مجال تفعيل القيم وسعتها اللغوية ، والإشارة إلى مفردات ولبنات البناء القيمى ، والمنظومة الواصلة فيما بينها ، وفى سياق آليات تفعيلها ونماذج تشغيلها كخطوات وعمليات ضرورية تحرك كل معانى **العقيدة الدافعة** ، أما العقيدة التى لا تدفع فهى ليست من العقيدة فى شئ ، **والشرعة الرافعة** ، فأما الشرعة التى لا ترفع فهى ليست من الشرعة أو بنيانها فى شئ **والقيمة التأسيسية الحاكمة** ، فأما القيم التى لا تحكم فهى ليس لها من معنى القيم شئ ، **والأمة الجامعة** أما الأمة التى لا تجمع أو تفرق ليس لها من معنى الأم والقصد أو جوهر الأمة شئ ، **والحضارة الفاعلة** أما الحضارة التى لا تفعل أو تؤثر فليس لها من اسم الحضارة والحضور والعمران والشهود من شئ ، **والسنن القاضية والشرطية** ، فأما السنن التى لا تقضى وفق شروطها فهى أشباه سنن لا تقوم بوظيفة فى تحريك الفعل الحضارى نحو غاية واضحة أو هدف محدد ، أو هى سنن زائفة تزيف فى الفهم والإدراك والوعى وكذلك الحركة والسعى ، **والمقاصد الحافظة** ، وأما المقاصد التى لا تحفظ أو تضيع أو تدمر أو تخرب من غير تعمير أو تدبير فهى ليست من المقاصد فى شئ .

فالقيم مدخل منهجى بما تشمله من العمليات المنهجية والعمليات المترتبة على تأسيسها من التأصيل والتفعيل والتشغيل ، كذلك فهي من ناحية ثانية تشكل الإطار المرجعى بما يسهم فى تشكيل البحث ورؤيته ، هذه الرؤية الكلية تفرض عناصر :-

١- الاهتمام بالقضايا ذات الطابع المنهجى .

٢- الاهتمام بالأبعاد القيمية والاجرائية المترجمة لعناصر المدخل القيمى .

* الدولة حاملة للوظيفة الحضارية .

* الأشكال والجوهر القيمى فى علاقات وتعاملات السلم .

* قواعد وأخلاقيات سير القتال (**إعمال القيمة حتى في الحركة الحربية**) (**القيم تحيط بالعملية القتالية فى الابتداء والانتهاء**) .

* النماذج التاريخية الكلية عناصر التواصل القيمى : الحركة التاريخية القيمية .

القيم والسياق البحثى (**الدراسة العلمية التجريبية : التاريخ معمل للتجارب**) .

* الفكر السياسي الإسلامى فى العلاقات الدولية (**القيم وعناصر تأسيس الأفكار**) ، (**القيم ورؤية العالم**) .

في هذا السياق يمكننا الحديث لماذا اعتبرت القيم إطارا منهجيا يسمح بالقيام بعمليات التأصيل والتفعيل والتشغيل ، فإذا كان الأمر يدور ضمن الممارسات البحثية في سياق تهميش التعامل مع القيم وبها ، فإن هذا البحث الذى يجعل من القيم – بالمعنى الذى حُدد – مدخلا منهجيا يسهم فى الاضطلاع بمعظم العمليات المنهجية التى تسمح بتحليل أعمق وتفسير أدق ، وما يحمله ذلك من تحديد عناصر كلية يحملها إطار المرجع Frame of Reference إطار المرجع وبما يحمله من جملة وظائف واصلة وضامة ورابطة ، ومقدرة تفعيلية وتأصيلية وتشغيلية يسهم بدوره فى تشكيل البناء البحثى ، وعناصر الحجية البحثية والمنهجية ، وهو كذلك يدفع إلى الاهتمام بالقضايا ذات الطابع المنهجى التى تحقق عمق التحليل وفاعلية التفسير ودقة التعميم من ناحية ، ومن ناحية أخرى يهتم بالأبعاد الإجرائية والقيمية المترجمة لعناصر المدخل القيمى ، القيم هنا وفق هذا التصور ليست كلمات أقرب إلى الشعارات التي تُنحى عند الممارسة ، وليست مقولات مثالية تنتمى إلى عالم الخيال ، أو أساطير تنقل من سلف إلى خلف ، بل هى مع فهمها العميق ، وتفعيل حركتها من الواجب تحويلها لعناصر مبادئ تنظيمية ، وأشكال مؤسسية فعلية ، وأخيرا إجراءات وآليات .

وعلى ذلك كان الاهتمام ضمن بحث كهذا يقوم على دراسة " العلاقات الدولية فى الإسلام " بأربعة مجالات أساسية :

الأول : يختص بعناصر التشكيل المنهجى سواء إرتبط ذلك بالتعامل مع الموضوعات الجزئية للدراسة ، أو ارتبط بطرائق التعامل مع المصادر وبها ، وإمكانات توظيفها ، وفى إطار حجيتها وأدوارها فى البناء المعرفى .

إن إسهاما حقيقيا لمثل هذه النوعية من المشروعات البحثية يجب أن يجعل المنهج فى بؤرة إهتمامه ، ذلك أن الاستفادة من قضايا المنهج لا تنفد مع كثرة التقليب .

هذا المجال على تخصيص مناطق بحثية تخصه إلا أنه يجب أن يكون روحا سارية فى جنبات البحث وقضاياه وأفكاره ، ويهتم بتأصيل عناصر الصورة الكلية والإمكانات المنهجية لتفعيلها وتشغيلها .

الثاني : يختص بالرؤية التأسيسية لهذه العلاقات ضمن رؤية الأصول أو محاولة التعامل معها ، تعاملا أقرب ما يكون إلى التعامل المنهجى المنظم والمنضبط والعميق ، رؤية الأصول تهتم بواحدة من الوحدات التأسيسية لحقل العلاقات الدولية والحركة فيه ، هذه الوحدة الفاعل الرئيسى ، الذى يتمثل فى . (**الدولة**) .

ثم تتراوح الحركة لهذا الفاعل ما بين أشكال سلمية ، وأشكال حربية ، إنها إحدى المحاولات ضمن عناصر التأسيس تلك التي تحول القيم إلى أشكال للحركة ، تلتزم بالقيم ابتداء وانتهاء ومسيرة .

تأسيس الأصول فى سياق المدخل القيمى ، يجعل من الدولة قيمة وظيفية تضطلع بأهم أدوارها كوظيفة حضارية ، وتشكل عناصر حركتها فى سياق حقل العلاقات الدولية ، كما يجعل من السلم – وفى سياق أشكاله المتعددة والمتعاضدة قيمة تؤصل لبيئة عمرانية ، ويجعل من القتال ضرورة فعلية ، هى فى الحقيقة تفعل فعل السلم كبيئة ، فتجعل من القتال عملية ضرورية واستثنائية ، إلا أنه وفق هذا التصور حركة وظيفية لحماية التصور والرؤية وتفعيلهما ضمن حركة الحياة الحضارية العامة ومجالاتها المختلفة والمتفاعلة .

إن هذه الرؤية التأسيسية والمؤسسة من خلال الأصول ، تحمل عناصر المدخل القيمى فتحدد عناصر التفعيل العقدى والرؤية المرتبطة بها ، وحقائق الشريعة وخصائصها وقواعدها الكلية ، والمفردات القيمية ونظمها ، والأمة كمجال حيوى يحتضن مجمل الفاعليات وأهمها الدولة ، والحضارة كفاعلية عمرانية ، والسنن كشروط للحركة الحضارية وإتيانها بمردودها ونتائجها المترتبة

الرؤية فضلا عن الفعل والفاعلية ، وكنموذج إرش
للوجود ، ويحرك النسق النظرية ، ويقيم البناء المفا
البحثية ، وكذا يتحرك صوب إثارة جملة من الإشكالا

بينما **المجال الثالث** يتعلق بدائرة الامتداد التار
تاريخية كلية ، قد توضح عناصر التواصل القيمى
القيمي وكذلك إلى تداخل القيم وتنازعها ، وكل ما
المنظومة القيمية ، التفعيل التاريخى كان يعنى دراس
التاريخ من منظور حقل العلاقات الدولية والتعامل
والحكم عليها ، وتفسيرها السننى ، والبحث فى
مهمة .

التاريخ وفق هذا التصور ليس مجرد أحداث
التأريخ لها ، هو أبعد من ذلك يحمل إمكانات تص
متعددة ومتنوعة ، كما يحمل إمكانات استخداه
كمعمل تجارب ، الدولة الأموية والدولة العباسية

والتاريخ الحديث والمعاصر ، كلها مناطق تشير إلى المدى الذى تمثله هذه الثروة التاريخية من عالم الأحداث الذى يحركه عالم أفكار ، وأشخاص ، ويتوسل عالم أشياء كل ذلك يمثل إمكانات بحثية هائلة .

المدخل القيمى يجعل من التاريخ وحوادثه قيمة ، تنبع قيمته فى ارتباطه العقدى ورسالته فى شرعته ، وحركته فى جوهرها القيمى ، مفردات ، ومنظومة ، وحركة أمة تتفاعل مع مثاليتها ورسالتها سلبا وإيجابا ، والتاريخ أيضا مسيرة حضارية وبناء حضارى وأشكال حضارية تتفاعل جميعا بحيث تؤسس عناصر منظور حضارى للتاريخ ، باعتباره ذاكرة حضارية ، التاريخ حينما يتحول إلى قيمة فلا يمكن النظر إليه إلا باعتباره حضارة تملك من العناصر ، والشروط ، والشروط هنا تتمثل فى السنن والقوانين القاضية فى الحركة الحضارية والتفاعل بين عناصر مساحاتها ، وتفعيل السنن إن صح التعبير . ليس إلا البحث فى قيمة الأفعال التاريخية والحضارية ومحاولة تفسيرها وفق عناصر منهج سننى قادر على تفعيل هذه القدرات وتشغيل هذه الأصول والكليات ، بل إن للحركة التاريخية والحضارية مقاصد وأهداف ، بعضها قريب وبعضها بعيد ، وكثير منها تتداخل فيه الغايات والمقاصد ، حركة المقاصد واعتبارها منهجا يحفظ الحركة ومعظم فاعلياتها الحضارية من الأمور الغاية فى الأهمية التي تضفى القيمة على التاريخ .

وأخير يأتى **المجال الرابع** ليشكل واحدة من مناطق الاهتمام لعلها ضمن المناطق المهملة فى دراسة حقل العلاقات الدولية من منظور إسلامى ، وهى منطقة الفكر السياسى الإسلامي فى هذا الحقل ، فإذا كان للحركة التاريخية سننا قاضية ، فإن للفكر أيضا مسارات واضحة تمثل التوجهات الكبرى فى هذا المجال ولا يعقل أن الإسهام الفكرى ضمن هذه الدائرة قد اختفى أو ندر ، فبمقدار زحم الحركة التاريخية، غالبا ما يتواكب وربما يسبقها أطرا فكرية يجب البحث فيها والكشف عنها .

الفكر هنا ليس مجرد وحدات تتمثل فى (**مفكرين**) ، بل هو أفكار حملها هؤلاء لابد أن تسهم بدورها فى بناء الرؤية لحقل العلاقات الدولية ضمن هذا المنظور .

ولا يعنى هذا البحث فقط عن القيمة فى الفكرة ، بل يعنى أبعد من هذا كيفية ارتباط هذه الأفكار بحبلها السرى الذي تتغذى منه ، وتجعله الإطار المرجعى الذى تستمد منه الرؤى والأفكار والتأصيلات والإدراكات والإشكالات ، وطرائق المواجهة ، والحل .. وغير ذلك كثير ، كيف شكلت هذه الأفكار سياقا بنيانيا يرتبط بكيان الشريعة ، الشريعة لابد وأن ترفد هذه الأفكار على نحو أو آخر وتتفاوت الجهود

الفكرية فى تفاعلاتها والاجتهاد بصدد قضاياها وموضوعاتها ، وإذا كانت الفكرة قيمة بمقدار ما تؤثر فيه وما تشكل به من واقع فى الرؤى والحركة ، فإن القيمة فكرة تعبر عن منظومة تتنوع فيها القيم كمفردات ، وتنتظم باعتبارها منظومة تتفاعل المستويات وتتعانق فيها العلاقات المتعددة وأشكالها ، والأمة بما تحمله من عناصر هى فكرة ، وباعتبارات القصد الكامنة فيها ، فإنها تضفى على الفكرة والحركة قيمة بمقتضى موافقتها للقصد والمقصود ، الأمة منظومة أفكار وقيم معنوية " : الأمة الوسط " " الأمة الخيرية " ومواصفاتها ، وفى مقابلها الأمة الغثائية التي لا قيمة لها ، بل قيمتها سلبية تهدر عناصر القصد والخيرية والجوهر القيمى فيها .

والحضارة كرؤية للعالم ليست إلا عناصر أفكار يجب التوجه إليها ، باعتبارها من الأهمية ضمن نسق الفكر السياسى الإسلامى فى هذا الحقل ، فلا يمكن رؤية هذا الحقل وتأسيسه الفكرى ومتابعة التراث الفكرى فى هذا المقام من دون جعل الحضارة عناصر فكرة محورية ضمن هذا البناء ، ويرتبط به كذلك عناصر سنن الأفكار قوتها واختفائها ، فاعليتها وسلبيتها ، سنن الأفكار ليست بعيدة عن فكرة السنن ، بل إن الأفكار كواحدة من أهم المجالات الحضارية يجب أن يكون حقلا مهما لدراسة الأفكار : سيرة ومسيرة وصيرورة وفق عناصر قوانين الأفكار وانتشارها وانحسارها ، قوتها وضعفها ، فاعليتها وسلبيتها .

للأفكار حركة إذا ما أحسن ملاحظتها يمكن أن تؤصل عناصر رؤية متميزة فى حقل الفكر السياسى ، ودراسة تخرج عن حد الأطر التقليدية .

ثم يأتى أخيرا البحث عن الفكرة فى سياق مقاصدها الكلية ومجال حركتها ومراتبها ، نظن أنه مدخل آخر مكمل ومتفاعل لا يقل تميزا عن " سنن الأفكار " ويسهم فى هيكلة الرؤية للفكر السياسى ضمن منظومة : سننية مقاصدية تجعل البناء أكثر إحكاما إذا ما أحسن دراسة هذه الأفكار ودارستها فى سياق :-

- مرجعيتها العقدية وتسكينها فى سياق رؤية كلية للعالم ، ومنظومة كلية تشكل القاعدة فى الأنساق المعرفية ، والنظام المعرفى الإسلامى .

- مرجعيتها فى الشرعة بما يجعل الأفكار أهم مجال للتفاعل مع الشرعة أو الحركة التى تتلازم أو تتوازى معها ، خصائص الشرعة يجب أن تترك آثارها وأهم بصماتها على خصائص الفكرة ، والفكرة إلتزام وتكليف وحكم كما هى قواعد كلية عامة .

- ومرجعيتها القيمية كمنظومة تبحث عن موضع القيمة من الفكرة ، وموضع الفكرة من القيمة ، وتسكن منظومة الأفكار فى سياق منظومة القيم وأنظمتها وأشكال

علاقاتها المتنوعة والتي تتضمن عناصر تفعيل متنوعة ومجالات تشغيل أكثر تنوعا وتفاعلا وتفعيلا .

– ومرجعيتها الأمة ، خيرية الأمة قيمة ، ووسطيتها قيمة ، الأمة واحدة من الافكار داخل منظومة وبنيان الأفكار فى الفكر السياسى الذى يرتبط بحقل العلاقات الدولية فى الإسلام ، فكرة الأمة يمكن أن تشكل أحد المفاهيم التحليلية ضمن هذه المنظومة الكلية التى تشكل المدخل القيمى .

– ومرجعيتها الحضارة والعمارة ، والعمارة وظيفة ، والاستخلاف كمجال للحركة ومساحة للتعارف والتفاعل ، كل ذلك يشكل مع الأمة فكرة محورية ثانية ضمن هذا البنيان الفكرى من الواجب الاهتمام بها .

ومرجعيته وطرائق تناوله السنن والمقاصد بحيث تعبران عن تكامل فى دراسة هذه الأفكار ..

ضمن هذه المجالات الأربع (المنهج – الأصول – التاريخ – الفكر) ، تأتى إسهامات مشروع كهذا فى العلاقات الدولية فى الإسلام ، ويأتى المدخل القيمى ليحول المنهج إلى قيمة ، ويحول النظر إلى الأصول باعتبارها قيمة فى معناها التأسيسى كقواعد يستند إليها ، رؤية الأصول ضمن هذا المدخل القيمى تملك حجيتها التأصيلية والتأسيسية ، القياسية والمعيارية ، وإمكانات صياغتها فى نسق قياسية لاتزال فى حاجة إلى بحوث متعددة فى كافة المجالات وفى كثير من الموضوعات . وهو كذلك يحول التاريخ الى قيمة لا فى متابعة حوادثه ولكن فى استقاء سننه وقيمة أحداثه ونظمها ، ويعبء التاريخ بمعانيه الحضارية ومضامينه العمرانية ، وبما يشكل ويضفى القيمة على الدراسة التاريخية ، وهو ينظر إلى التاريخ فى سياق العبرة كمقصد منهجى من الدراسة التاريخية ، والعبرة عناصر تدبر وفهم واستشراف إنها فقط تعمل من خلال الوعى لنقل عنصر القيمة فى التاريخ إلى العبور به نحو تفسير الحاضر ، والعبور به نحو الحركة والرؤية فى المستقبل .

وهو أخيرا يحول الفكر إلى قيمة ، قيمة الفكر لا تكون إلا فى سياق البحث عن عناصر الفاعلية للفكرة ، والفاعلية ذات عنصرين الفكر قد يجد قيمته فى التفاعل مع المرجعية ، كما يجد فاعليته بالتفاعل مع الواقع واعتباره .

إن القيمة فى هذا السياق تعني فى المدخل السباعى :–

عناصر العقيدة الدافعة ، وحقائق الشرعة الرافعة ، وأصول القيم الحاكمة ، وسياقات الأمة الجامعة ، وشروط الحضارة الفاعلة ، وارتباطها بقوانين السنن القاضية

التى تشكل الوعى وجملة عناصره ، وأخيرا سياق المقاصد الحافظة للفعل وقيمته وحركته والحاضنة لإمكانات وقدرات الفاعلية ، إننا هنا أمام عناصر قيمة المنهج وحجيته ، وقيم الأصول ووظيفتها التأسيسية والمعيارية ، وقيمة التاريخ عمرانيته وحضارته وعبرته ، وقيمة الفكر فى فاعليته ، إننا أمام عناصر ذات أربعة أركان تشكل مجالات إهتمام **(المنهج القيمة وقيمة المنهج) ، (قيمة الأصول وأصول القيمة) ، (قيمة التاريخ وحضارية القيمة) ، (قيمة الفكر ، وفكر القيمة)** ، إنها جملة من الأركان والمجالات التي تحقق عناصر التأصيل والتفعيل والتحريك والتشغيل .

إن الغرض من هذا السياق البحثى أن نؤكد على إمكانات القيم كمدخل منهجى ، ويشير هذا المدخل إلى إمكانات المتابعة البحثية ليس فقط لموضوعات مستقلة ، بل وكذلك لمشروعات بحثية من مثل نوع هذا المشروع ، القيم كمدخل منهجى عملية تحدد أجندة البحث ، ووجهة التحليل ، ومقاصده ، وطرق التناول والتعامل ، وفى كل الأحوال يظل الباب مفتوحا لعمل بحثى وعلمى متراكم .

﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾

(صدق الله العظيم)